

(١)

النبيُّ القدوةُ (صلى الله عليه وسلم) معلماً ومربيّاً

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
وبعد:

فقد بعث الله تعالى رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هادياً، ومبشراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وحباه بالأخلاق الفاضلة، والآداب السامية، وجوامع المثل والقيم الإنسانية، فكان (صلى الله عليه وسلم) نِعَمَ القدوة لأمته وللإنسانية جمعاء في كل أحواله، حيث يقول تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

والمتدبر في سيرته (صلى الله عليه وسلم) يجد أنه (صلى الله عليه وسلم) كان خير الناس للناس جميعاً؛ فقد كان (صلى الله عليه وسلم) معلماً رفيقاً، يحنو على من يعلم، فهذا معاوية بن الحكم (رضي الله عنه)، يقول: بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاتَّكَلْ أُمَامَهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْحَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصِمُّونِي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَبَإْيِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا فَهَرَنْتُ، وَلَا ضَرَبْتَنِي، وَلَا

(٢)

شَتَمَنِي، قَالَ: (إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ...).

وعن أبي أمامة (رضي الله عنه)، قَالَ: (إِنْ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ عَلَيْهِ، فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ، مَهْ، فَقَالَ: ادْنِهِ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لَابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنِ الْفَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

كما كان (صلى الله عليه وسلم) يربي أصحابه على مراقبة الله تعالى، وصدق التوكل عليه، وحسن الاستعانة به، ويبث في نفوسهم ما يصلحها، ويهدبها، ويقوي صلتها بالله سبحانه، فهذا سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، يقول: كنت خلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوماً، فقال: (يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ).

(٣)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد كان سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معلماً رحيماً، ومربياً حكيماً، فهو الذي قال عن نفسه (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَنِي مُعْتَبًا، وَلَا مُتَعَتًّا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا، وَمُيَسَّرًا)، فهذا عمر بن أبي سلمة (رضي الله عنهما)، يقول: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَكَانَتْ يَدَيَّ تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طَعْمَتِي بَعْدُ).

وكان (صلى الله عليه وسلم) رفيقاً بمن كان في خدمته، يقول أنس (رضي الله عنه): (خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٌ صَعْتُهُ: لِمَ صَعْتُهُ؟ وَلَا لِي شَيْءٌ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟).

فما أحوجنا إلى أن نفتدي بأخلاق نبينا (صلى الله عليه وسلم)، وأن نعامل الناس بما كان يعاملهم به (صلى الله عليه وسلم) كل في موقعه؛ نشرًا لرسالته، وبيانًا لهديه وسنته.

اللهم ارزقنا حسن التأسي بنبينا (صلى الله عليه وسلم)